الفصل السابع

محصلة تجربة

الفصل السابع

محصلة تجربة

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ودروس المستقبل

أخذنا هذا الكتاب في رحلة جميلة فى أعماق تجربة إنشاء كلية الاقتصاد والعلوم السياسية فى أوائل الستينيات من القرن العشرين. وأظهرت هذه الرحلة أن المجتمع المصري قادر على التطوير والتجديد، وهو يواجه التحديات ويدخل إلى المجهول مادامت قد سلمت النوايا وأخلصت الهمم. واستطاعت هذه الكلية الفتية، التي بدأت فقط بدستة من الأساتذة الأخيار، أن تصبح صرحًا علميًّا وبحثيًّا من الطراز الأول. فما سر هذا التفوق وما نتائجه، وكيف نستفيد من هذه التجربة في المستقبل.

لماذا نجحت تجربة كلية الاقتصاد ؟:

نحن في عصر نسمع فيه عن الخلاف بين أعضاء الهيئات العلمية أكثر مما نسمع عن الوفاق بينها. عصر ضعت فيه العلاقة بين الطالب والأستاذ في وسط زحام المدرجات وإشغال أعضاء هيئة التدريس بالبحث عن دخل ملائم.. عصر ضاع فيه دور الجامعة في خدمة المجتمع، مع عدم اهتمام أصحاب الحل والربط اللجوء إلى الجامعة في حل مشكلات المجتمع.

ولا يملك المرء الذي ينظر إلى الماضي ويحلل تجربة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية إلا أن يدهش للتناغم العالي والوئام المخلص الذى شمل هيئة التدريس والطلبة، والسؤال إذًا .. ما السر في ذلك النجاح؟!

ويزيد من أهمة تجربة إنشاء الكلية ونجاحها أن هذا تم في عصر متلاطم الاتجاهات، كانت فيه مصر نهبًا لصراعات كبيرة داخلية وخارجية، ففي أوائل الستينيات كانت مصر قد دخلت لتوها في تجربة الاشتراكية، وانغمست في مغامرة اليمن، ثم أصابتها صدمة الانفصال عن سورا وبدأت مناوشات وصدامات مع الغرب؛ إذ زاد انحياز النظام تجاه الكتلة السوفيتية مع تدشين العلاقات مع ألمانيًا الشرقية، وحدث اختلاف علني حول الكونجو وقطعت العلاقات مع بلجيكا، وسرعان ما قطعت المعونات الأمريكية من القمح، ومعونات التنمية من الدول الغربية، وانساقت البلاد إلى فخ النكسة.

وفي الداخل زادت صرامة النظام، وبدأت عملية الفرز الاجتماعي والسياسي، وفي الكواليس أنشئت تنظيمات موازية للدولة (مراكز القوى)، سواء في الجيش أو في التنظيمات الحزبية والطبيعية. وكان لكل هذه الصدمات آثار كبيرة على الحياة السياسية والاجتماعية. فما هي إذًا عوامل التفوق التي مكنت الكلية من أن تمضي في طريقها، على الرغم من كل هذه الأنواء والعواصف.

١ – **الأساتذة الرواد** : مما لا شك فيه أن الكلية كانت محظوظة بأساتذتها الرواد الذين جمعوا بين العلم الغزر والخلق القويم والإحساس الأبوي، والمسئولية تجاه "أبنائهم" الطلبة. ولم تكن هذه الصفات قد توافرت صدفة، فقد كانت الجامعة المصرية في مقدمة الصفوف في معركة الاستقلال الوطن، ومازالت تحمل تقاليد الرواد الأوائل من أحد لطفي السيد، وطه حسين، وعلي مشرفة.

كذلك كان أساتذة الكلية من النابهين الذين استفادوا من برنامج سخي للبعثات في الأربعينات والخمسينيات، في كبرى الجامعات الغربية مثل السوربون في باريس وجامعة لندن وبرستون وكاليفورنيا.

٢ – **الريادة والقيادة المقنعة**: مما لا شك فيه أنه كان من السهل أن تصطدم سفينة هذه الكلية الوليدة بالصخور أو أن تضيع في العاصفة لولا القيادة الرشيدة للعميد المؤسس د. محمد زكي شافع. ولقد أجمعت آراء الأساتذة الرواد على أن السيد العميد قد اتصف بالشخصية والمقبول التي مكنته من أن يفرض رؤيته على العاملين

معه، وكذلك أن يحظى بإعجاب ومحبة زملائه في الكلية، وأقرانه في الكليات الأخرى، والطلبة على حد سواء.

٣ – **الإخلاص في العمل والأبوة من قبل هيئة التدريس**: اتصف ذلك العصر بتفرغ أعضاء هيئة التدريس وتركيزهم على عملهم الأساسي، ألا وهو تعليم وتشكيل أجيال جديدة. وأوضح هذا الكتاب كيف كسبت روح الأبوة من قبل الأساتذة أجيالاً من الطلبة.

٤ – **احترام الطالب وترقيته**: العملية التعليمية ليست كراسًا وأستاذًا وسبورة بل هي أكثر من ذلك. ورأينا في الكتاب دور النشاط الرياضي والثقافي والاجتماعي في تنشئة الطالب. والأهم من ذلك هو التعامل مع الطالب كجزء أساسي في الحياة الجامعية. وكان لإتحاد الطلبة ولجانه المختلفة دور أساسي في تسيير النشاط الاجتماعي والثقافي والرياضي. كذلك أكدت التجربة في الستينيات أن من حق الطلبة أن تكون لهم مواقف سياسية. ومع ذلك يجب أن لا ننسى أن هذا الحق كان – وقتها – مكفولاً فقط لمنظمات الاتحاد الاشتراكي والطليعي.

٥ – **الوعي بدور الجامعة كرافد لصالح القرار في حل مشكلات المجتمع**: جاء إنشاء الكلية بناء على حاجة حكومة الثورة لقيادات قادرة على حمل لواء مسيرة التنمية والاقتصاد، والدبلوماسية والاعلام. وتم استقطاب أساتذة الكلية وخريجيها لشغل مناصب مهمة في معركة التنمية والتعمير. وساد ذلك العصر رغبة في توظيف العلم في التنمية وتمثل هذا في احتفالية عيد العلم، وغيرها من صور تكريم العلماء.

٦ – **الأعداد الصغيرة والاهتمام بجودة التعليم**: كان هناك وعي كبير بأهمية التناسق بين عدد الطلبة والأساتذة، وغيرها من معايير جودة التعليم. وعلى الرغم من الاعتراف بأن التعليم حق الجميع، فإن هذا الحق يقابله واجب الجامعة في أن تقدم تعليمًا راقيًا عالي الجودة.

بعض مؤشرات أداء خريجي الكلية:

من الطبيعي أن نقيس أداء خريجي الكلية بالمقارنة بالكليات الأخرى، ولا تخلو مثل هذه المقارنات من الأحكام القيمية. فمن المعروف مثلا أن كلية الحقوق فى مرحلة ما قبل الثورة كانت كلية النخبة والوزراء، وفى مرحلة الثورة أصبح التركيز على الوزارات التقنية، وبالتالي صعدت أسهم المهندسين والفنيين..، وفى مرحلة الاقتصاد الحر والعولمة، نتوقع أن يكون هناك دور أكبر للإقتصاديين[1] وعلماء السياسة. وبالفعل تولى بعض خريجي الكلية مناصب وزارية مهمة مثل: وزارة المالية، ووزارة التخطيط، ووزارة الزراعة... وكذلك مناصب فى دعم القرار السياسي والنشاط الحزبي.

وسنقدم فيما يلي بعض المواقع الرائدة التى شغلها خريجو كلية الاقتصاد والعلوم السياسية[2]:

١ - الدبلوماسية المصرية:

هناك تقديرات بأن حوالي نصف السفراء العاملين فى الخارجية المصرية فى العشرين عامًا الأخيرة (١٩٩٠-٢٠١٠) من خريجي الكليةو قد وصل العديد منهم إلى منصب نائب الوزير[3].

---

(١) كان أول الوزراء من خريجي الكلية هو الدكتور يوسف بطرس غالي (١٩٩٠) الذى حقق رقمًا قياسيًا ليس فقط فى طول الخدمة المتواصلة، بل فى عدد الحقائب الوزارية التى شغلها (وزير دولة للشئون الاقتصادية، وزير تعاون دولي، وزير اقتصاد، وزير تجارة خارجية، وزير مالية). ومن المحتمل مع ذلك أن هذا الوزير المتألق كان سيحقق هذا الإنجاز بغض النظر عن الكلية التى تخرج منها لقدراته، وتعليمه، ولكونه سليل إحدى أعرق العائلات السياسية القبطية فى مصر.

(٢) أشرنا فى القسم الخاص بالوافدين فى الفصل الخامس إلى أمثلة من خريجي الكلية فى الدول العربية.

(٣) أبلغني السفير رخا حسن، نائب رئيس جمعية الخريجين، أن ٩ من ١٦ يكونون مجلس شئون السلك الدبلوماسي والقنصلي فى ٢٠١٠ هم من خريجي الكلية.

٢ - الجامعات والمراكز العلمية:

من الطبيعي أن يتصدر خريجو الكلية معاهد وكليات الاقتصاد والعلوم السياسية والإحصاء فى مصر والخارج. ووصل الى منصب عميد الكلية الأم علي الدين هلال (١٩٩٤-١٩٩٩)، كمال المنوفي (١٩٩٩-٢٠٠٥)، منى البرادعي (٢٠٠٥-٢٠٠٨)، وعالية المهدي (أغسطس ٢٠٠٨-). وتولى رئاسة معهد التخطيط القومي أيضًا أربعة من خريجي الكلية، هم: عثمان محمد عثمان، محمود عبد الحذذي صلاح، علا الحكيم، وفادية عبد السلام. وتولي الخريجون مراكز متقدمة فى معهد الإحصاء بجامعة القاهرة، والمركز الديموغرافي بالقاهرة، وفى الجامعات الخاصة والأجنبية مثل الجامعة الأمريكية والبريطانية والفرنسية فى القاهرة؛ وفى الخارج، مثل: جامعة الكويت، والإمارات العربية المتحدة، قطر، وجامعات كندا، والولايات المتحدة، وغيرها[١].

٣ - البنوك والمؤسسات المالية المحلية والأجنبية:

هناك كوادر عديدة من خريجي الكلية يعملون فى المؤسسات المالية المحلية والدولية. ولعل أول من وصل إلى مكانة رفيعة محليًا كان "حاتم صادق"[٢]، الذي تولي منصب رئيس البنك العربي المحدود (مصر) فى الثمانينيات. وعلى المستوى الدولي "علي سليمان" الذى كان أول رئيس تنفيذي للمؤسسة الإسلامية لتنمية القطاع الخاص (٢٠٠١-٢٠٠٧)، وهى مؤسسة دولية تابعة للبنك الإسلامي للتنمية بجدة.

٤ - العمل السياسي والتشريعي:

كانت الخريجة كاملة كامل (ح٦٧) أول من وصل إلى مقعد التمثيل النيابي، عن دائرة أسيوط، عن طريق الانتخاب. وحاليًا هناك عشرات ممن يشغلون مقاعد فى مجلسي الشعب والشورى، وفى الحزب الوطني وأحزاب المعارضة، والمجلس القومي لحقوق الإنسان، وغيرها من المؤسسات ذات التوجه القومي والعام.

---

(١) لتفاصيل أكبر، انظر كتاب **"كلية الاقتصاد والعلوم السياسية"، مؤتمر مصر وكلية الاقتصاد والعلوم السياسية فى عهد من التغيير: ١٩٦٠-٢٠١٠**، القاهرة، مارس ٢٠١٠.

(٢) صهر الرئيس جمال عبدالناصر.

٥ - العمل الصحفي والإعلامي:

وصل عدد كبير من خريجي الكلية الى مراكز مرموقة فى مجال الصحافة والإعلام، بما فى ذلك رئاسة تحرير مؤسسة الأهرام، الجمهورية، روز اليوسف، والأهرام الاقتصادي، وقناة النيل للأخبار وغيرها.

٦- الوزارات ومراكز البحث الاقتصادي والسياسي:

هناك العشرات من خريجي الكلية الذين تولوا مناصب مهمة فى وزارات المجموعة الاقتصادية، ومراكز البحث الاقتصادي والسياسي والإحصائي، ومنهم سمير رضوان (ق ٦٣)، مركز الدراسات الاقتصادية للدول العربية وتركيا وإيران، مصطفى كامل السيد (س ٦٧) مركز شركاء التنمية، وفاطمة الزناتي (ح٧٤)، الزناتي وشركاه، ونادر الفرجاني (ح٦٣) ،مركز المشكاد..

٧ - العمل الاقتصادي والاجتماعي:

وصل عديد من خريجي الكلية لقمة المراكز الاقتصادية والاجتماعية، بما فى ذلك رئاسة الشركات الصناعية (منير فخري عبد النور رئيس شركة فتراك، وعمر عبد العزيز مهنا رئيس شركة السويس للأسمنت..) والنوادي الإجتماعية (مثل: ممدوح عباس رئيس نادي الزمالك) .

نظرة إلى المستقبل :

كانت مناسبة اليوبيل الذهبي لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية فرصة؛ لكي نعيد النظر في حقبة مهمة من تاريخنا، فترة، كان فيها الجامعة والأساتذة والطلبة فى مقدمة معركة التنمية والتطوير، ليس فقط للمجتمع المصري بل للمنطقة العربية كلها.

ولقد آن الآوان بعد أن زادت التحديات العالمية والمنافسة بين الدول على طريق التقدم، أن نعيد الأمور إلى نصابها بدعوة الجامعة ورجالها لقيادة المسيرة، فلا بديل للعلم الملتزم بقضايا الوطن والعمل الدؤوب في دفع عجلة المجتمع إلى الأفق الموعود.

والله الموفق،،،